المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أبي القاسم محمد سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فهذا بحث في "**آيات الصلاح في القرآن الكريم**"، كتبته مبتغياً به خدمة القرآن الكريم، كتاب العربية الخالد ودستور الأمة الإسلامية الثابت الذي لا يتغير أبداً، وقد تتبعت آيات الصلاح هذه في معجمات اللغة لمعرفة معناها اللغوي ثم تابعت معناها عند أهل الاصطلاح كذلك ورجعت إلى امّات كتب التفسير لفهم سياق النص القرآني الذي ورد فيه هذا اللفظ كذلك..

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يُقسَّم على النحو الآتي:

1. **التمهيد:** وتناولت فيه كّلاً من المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي والعدد الذي ورد فيه هذا اللفظ وما يتعلق بمدلوله.
2. **الفصل الأول:** ويُعنى بـ(سمات الصالحين) كما وردت عند أهل العلم.
3. **الفصل الثاني:** واشتمل على آيات الصلاح وتم تصنيفها بحسب ماتعطيه من المعاني.
4. **الفصل الثالث:** من مواقف الصالحين.
5. **خاتمة البحث:** وفيه تلخيص لما ورد في البحث .

وأخيراً أرجو أن يحقق هذا البحث الغرض الذي كتب من اجله والله ولي التوفيق.

التمهيد
مفهوم الصلاح

وردت لفظة "صلح" وما أشبهها في معجمات اللغة مفيدة إبعاد الشيء عما يفسده فـ(الصلاح ضد الفساد تقوله صلَح الشيء يصلح صلوحاً.. قال الفراء: وحكى أصحابنا صلُح أيضاً بالضم، وهذا الشيء يصلح لك أي هو من بابك، والصلاح بكسر الصاد المصالحة والاسم الصُّلْح يذكر ويؤنث.. وقد اصطلحا وتصالحا واصّالحا أيضاً مشددة الصاد والإصلاح نقيض الإفساد والمصلحة واحدة المصالح والاستصلاح نقيض الاستفساد..)[1].

وهذا المعنى يتردد في معجمات اللغة كلّها فـ(الصلاح نقيض الطلاح ورجل صالح في نفسه ومصلح في أعماله وأموره، والصلح تصالحُ القوم بينهم وأصلحت إلى الدابة أحسنت إليها..)[2].

والمعنى نفسه في المحكم إذ يقول (الصلاح نقيض الطلاح ورجل صالح في نفسه ومصلح في أعماله وأموره والصلح تصالح القوم بينهم وأصلحت إلى الدابة أحسنت إليها..)[3].

وتصالح القوم بينهم والصلاح ضد الطلاح.. ورجل صلْح بمعنى صالح وما بعد ذلك صلوح أي صلاح[4].

وفي تهذيب اللغة أن (الصلاح نقيض الفساد، والإصلاح نقيض الإفساد ورجل صالح: مصلح. والصالح في نفسه والمصلح في أعماله وأموره ويقال صلح فلان صلوحاً وصلاحاً..)[5].

(والصلاح ضد الفساد وقد يوصف به آحاد الأمة ولا يوصف به الأنبياء والرسل عليهم السلام)[6].

ونحن بعد كل ما نقلناه من معجمات اللغة نرى أن المعنى الذي تذكره كتب اللغة متقارب والاستمرار في نقل ماورد عند المعجميين لا يزيد شيئاً على ما ذكرنا وان المعنى الذي يمكن أن تطمئن إليه النفس هو أن الصلاح ضد الفساد وان هناك فعلين للصلاح أحدهما "صلَح" بفتح اللام وثانيهما صلُح بضمها.

أما في الاصطلاح فإن هذه اللفظة تطلق على النفر الذين توافرت فيهم جملة صفات منها دعوتهم الله تعالى أن يهديهم إلى طريق الحق وان يثبتهم على الحق حتى مغادرتهم الحياة الفانية وان هؤلاء القوم كانوا يستعينون في تحقيق الاستقامة بالله تعالى ثم حمل أنفسهم على الحق وإبعادها عما لا يليق بالمسلم المستقيم.

وقد ورد اللفظ في القرآن الكريم أربعاً وثلاثين مرة وأنها في هذه المرات كلها أطلقت على خيار القوم وعِلْيتهم فهم عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً.

وها نحن أولاء نقف عند طائفة من سمات الصالحين.

الفصل الأول
آيات الصلاح

لقد ورد الصلاح والإصلاح في القرآن الكريم بمدلولات عدة، فهو يدل على ارتكابه الآثام من قبل العبد ثم يغلب عليه عمل الخير فيؤوب إلى الله تعالى ويصلح أعماله، وقد تأتي لفظة الإصلاح والصلح مفيدة تحسين العلاقة مابين الفرد وأخيه حين يحصل بينهما خصومه، وقد تعطي مفردة الصلاح أو الإصلاح غير ماذكرنا هنا من معانٍ متفاوته، ويمكن أن نصنّف هذه المعاني على وفق المحاور الآتية:

1. إصلاح ما بين العبد وربه

ومن ذلك قوله تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ البقرة160 فمعنى أصلحوا (أصلحوا ما أفسدوا بالتدارك فيما يتعلق بحقوق الحق والخلق)[7] أي أن هؤلاء حين قصروا بحقوق الله تعالى ثم تراجعوا عن هذا التقصير وذلك بإصلاحهم مابينهم وبين الله تعالى بالتوبة الصادقة والعمل الصالح والإخلاص في هذا العمل فإن الله يتوب عليهم.. ومن ذلك ما ورد في سورة آل عمران ﴿**كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۞ خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ۞ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ الآية رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ. فقد أشارت الآية الكريمة انّ على هؤلاء لعنة الله وهي كافية لأن ترديهم في جهنم خالدين فيها، ولكن لتبيان شدة مقت الله تعالى عليهم أردفها بلعنة الملائكة ثم أردف ذلك بلعنة الناس أجمعين مع الملائكة، وتبقى رحمة الله قائمة مادام العبد يجنح إلى التوبة ويعود إلى ربه

مستغفراً، ولذلك استثنت الآية من تاب وأصلح أي وأصلح مابينه وبين الله تعالى ويكون الإصلاح بالعلم الصالح والتوبة على مابدر منه والصدق في هذه التوبة.

وقد وقف المفسرون عند هذه الآية وعند "اصلحوا" فقالوا (الا الذين تابوا من بعد ذلك.. أي أن التوبة وحدها لاتكفي حتى ينضاف إليها العمل الصالح فقال (وأصلحوا أي اصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات وذلك بأن يعلنوا بأنّا كنا على الباطل حتى انه لو اغتر بطريقتهم الفاسدة مغتر رجع عنها..)[8].

فالتوبة على هؤلاء (من لطفه وبرّه ورحمته وعائدته مع خلقه بأنّ من تاب إليه تاب عليه)[9].

ومن هذا الضرب من المعنى– وهو ما يتعلق فيما بين العبد وربه– قوله تعالى في سورة النساء ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ۞ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ الآية 146. فبرغم موقف الإسلام من النفاق هذا الموقف الذي جعل منهم أناساً احطّ من الكافرين، في الدرك الأسفل من النار، برغم ذلك كله فقد فتح لهم باب التوبة فقال فيما قال .. تابوا وأصلحوا. وقد وقف المفسرون عند "اصلحوا" ومما قالوه (في الدرك الأسفل من النار: في توابيت من نار تطبق عليهم أي مغلقة مقفلة .. وفي توابيت من حديد مبهمة عليهم ومعنى قوله مبهمة أي مغلقة مقفلة لا يهتدى لمكان فتحها)[10] وبعد هذا حين غلب عليهم عمل أهل الجنّة وهم لم يملكوا الكثير من العبادة (بدّلوا الرياء بالإخلاص فينفعهم العمل الصالح وان قلّ فما ورد في ذلك اخلصْ عملك يكفك القليل من العمل..)[11].

وفي سورة المائدة ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيم ۞ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ الآية 39.

(أي من تاب بعد سرقته وأناب إلى الله فإن الله يتوب عليه فيما بينه وبينه..)[12] وحين نقف مع المفسرين عند لفظة "وأصلح" نجد أنهم يقولون أن معناها (فعل الفعل الصالح الجميل فإن الله يقبل توبته..)[13].

ومما جاء في سورة الأنعام في المعنى نفسه ﴿**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ الآية ، والصلاح يتمثل باتباع منهج الله تعالى (أي فمن آمن قلبه بما جاؤوا به وصلح عمله بإتباعه إياهم)[14] وهنا ترتيب في الأعمال فلابد ان يأتي الأيمان أولاً ثم يتبعه الإصلاح (آمن بما يجب الأيمان به وأصلح مايجب إصلاحه والآتيان به على وفق الشريعة والفاء هنا لترتيب ماقبلها على مابعدها..)[15].

وهذا المعنى يرد في آية أخرى في السورة نفسها ﴿**وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ الآية 54.

ويتمثل إصلاحه هنا بأن يتوب أولاً ثم يكون الإصلاح (بأن أتى بشروطها- التوبة- من التدارك والعزم من عدم العودة ابداً)[16].

والدعوة إلى إصلاح النفس أمام الله تعالى يطالعنا في الآية الخامسة والثلاثين من سورة الأعراف كذلك في قوله تعالى﴿**يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾.

فالإصلاح هنا يتمثل في انه (**ترك المحرمات وفعل الطاعات**)[17].

والمراد هنا (فمن اتقى منكم التكذيب وأصلح عمله..)[18].

والله تعالى في كتابه العزيز يذكر انه يحفظ اجر هؤلاء المصلحين ﴿**وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ**﴾ الأعراف 170.

والله تعالى لا يهلك المصلحين ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾ هود 117.

والقرآن الكريم ذكر ان عاقبة هذه الطائفة التي تصلح مابينها وبين الله الجنّة ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ**﴾ الرعد 23.

ومما ورد في الإصلاح بين الله تعالى وعباده ما ورد في سورة الأحزاب ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾. فـ(يصلح لكم أعمالكم بالقبول والإثابة عليها على ماروي عن ابن عباس ومقاتل وقيل إصلاح الأعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية..)[19].

والمعنى نفسه في سورة محمد ﷺ في آيتها الثانية ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ**﴾ وأصلح بالهم: يعني حالهم وشأنهم في الدنيا والآخرة.

الإصلاح بين العبد وربه اذن، واحد من المعاني التي تشتمل عليها لفظة "أصلح" وما ذكرنا من الآيات يمثل هذا المعنى والآن مع معنى آخر.

2. الإصلاح في المنازعات والخلافات

ومن ذلك ما ورد في سورة الحجرات وهو قوله تعالى ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ الآية ﷺ. وهذا المعنى من الإصلاح كما هو واضح يختلف عن سابقه، ومفهوم الإصلاح هنا ذكره المفسرون في كتبهم فمما ورد في معنى الإصلاح في الآية السابقة (وان طائفتان اقتتلتا فأصلحوا بينهما بالنصح وإزالة الشبهه ان كانت والدعاء إلى حكم الله ﷻ.. فأصلحوا بينهما بالعدل بفصل مابينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عن ان يكون بينهما قتال في وقت آخر وتقييد الإصلاح هنا بالعدل لأنه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة..)[20].

يتبين مما تقدَّم انه يُلْجأ أولاً إلى الإصلاح بالقول والنصح والإرشاد وتبيان عاقبة الاقتتال وما يجرّ على الطرفين من مآسي وما يتركه من آثار سلبية وتخريب، فإن لم يجدِ ذلك وجب قتال المعتدين، وحين ترجع المعتدية عن اعتدائها يُرجَع إلى إصلاح الوضع ومحاولة نشر الوئام بعدالة وإقساط بين الفئتين أما أن كان التنازع في شيء يتعلق بأمور الدين فإن ذلك يُصلّح فيه بين المتنازعين في الرجوع إلى كتاب الله تعالى وحكم رسوله الكريم ﷺ وفي ذلك يقول القرآن الكريم ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ النساء 59، ومعنى فردوه إلى الله ورسوله (إلى كتاب الله وسنة رسوله وهذا أمر من الله ﷻ بأنه كل شيء تنازع الناس فيه من أمر الدين من أصول الدين وفروعه ان يردّ التنازع في ذلك إلى كتاب الله وسنة رسوله فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق وماذا بعد الحق الا الضلال.. أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا إليها فيما شجر بينكم.. وان من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليها في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر..)[21].

من كل ماتقدم يتبين ان النزاع في الآية السابقة يتعلق بأمور الدين من حيث فهم الحادثة والنص واستنباط الحكم وفي ذلك يقول الآلوسي (.. فردوه إلى الله أي إلى كتابه والرسول أي إلى سنته ولاشك ان هذا إنما يلائم حمل أولي الأمر على الأمراء دون العلماء لأن للناس والعامة منازعة العلماء إذ المراد بهم المجتهدون والناس ممن سواهم لا ينازعونهم في أحكامهم)[22].

3. الإصلاح في الأحوال الشخصية:

ورد في الإصلاح في الأحوال الشخصية آيات فيما يتعلق بالأيتام والإصلاح بين الزوجين وشؤون الطلاق وما أشبه ذلك من أمور اجتماعية تتدرج تحت عنوان الأحوال الشخصية، فمن ذلك ما ورد في سورة البقرة في شؤون

الوصية ﴿**فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾البقرة 182. (وأصلح بينهم أي أصلح ماوقع بين الورثة من الشقاق والاضطراب بسبب الوصية بإبطال مافيه ضرار ومخالفة لما شرعه الله تعالى وإثبات ماهو حق كالوصية في قربة لغير وارث.. وذُكر ان "فأصبح بينهم" تعني إذا اخطأ الميت في وصية اوحاف فيها فليس على الأولياء حرج ان يردّوا خطأه إلى الصواب..)[23].

وقد ورد ان الحيف في الوصية من الكبائر وعن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال ''**الحيف في الوصية من الكبائر**'' ومما ورد كذلك ''**ان الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى حاف في وصية فيختم له بشرّ عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل الشرّ سبعين سنة فيعدل في وصية فيختم له بخير عمله فيدخل الجنّة..**''[24].

وقد ذكر المفسرون كيفية الإصلاح بقولهم (ان ذلك الحيف والأثم كان أما بزيادة أو نقصان أو بعدول فإصلاحها إنما يكون بإزالة هذه الأمور الثلاثة وردّ كل حق إلى مستحقه..)[25].

ومن الإصلاح في الأحوال الشخصية ماورد في حق اليتيم ومنه قوله تعالى ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنْ الْمُصْلِحِ**﴾ البقرة 22. وقد ذكر المفسرون في معنى قل إصلاح لهم خير (ان هذا الكلام يجمع النظر في صلاح مصالح اليتيم بالتقويم والتأديب وغيرهما لكي ينشأ على علم وأدب وفضل لأن هذا الصنع أعظم تأثيراً فيه من إصلاح حاله بالتجارة ويدخل فيه أيضاً إصلاح ماله كي لا تأكله النفقة من جهة التجارة)[26].

وقيل في تفسيرها أيضاً ان الآيات التي نزلت في حق أموال اليتيم﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾، وكذلك ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ هذه الآيات جعلت قسماً من الصحابة يتحرّج في خلط ماله بمال اليتيم خشية الإثم فنزلت هذه الآية تبيح لهم المخالطة والأكل معهم بشرط المحافظة على أموالهم..)[27].

ومما قيل في الإصلاح كذلك (مخالطتهم على وجه الإصلاح لأموالهم فإن ذلك أصلح من مجانبتهم وفي ذلك دليل على جواز التصرف في أموال الأيتام من الأولياء والأحياء بالبيع والمضاربة والإجارة ونحو ذلك..)[28].

وفيما ورد في الصلح بين الزوجين قوله تعالى في سورة النساء﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلا جُنَاحَ عَلَيهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾ 128، (يقول الله تعالى مخبراً ومشرعاً في حال الزوجين، تارة في حال نفور الرجل عن المرأة وتارة في حال اتفاقه معها، وتارة في حال فراقه لها فالحالة الأولى إذا ما خافت المرأة من زوجها ان ينفر عنها أو يعرض عنها فلها ان تسقط عنه حقها أو بعضه من نفقه أو كسوة أو مبيت، أو غير ذلك من حقوقها عليه وله ان يقبل ذلك منها فلا حرج عليها في بذلها له ولا عليه في قبولها منها ولهذا قال تعالى فلا جناح عليها ان يصلحا بينهما ثم قال والصلح خير أي من الفراق..)[29].

(والصلح خير) لفظ عام يقتضي ان الصلح الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الإطلاق أو خير من الفرقة أو من الخصومة..[30].

4. إصلاح النفس

وإصلاح النفس يعني صفاء القلب هذه المضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله، ويعمد الصالحون إلى سلوك طريق إصلاح هذه المضغة بالتوبة من الذنب ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ أول مراحل صفاء القلب ونقائه فـ(**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**)[31] و(ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب، والتوبة أول منزل من منازل السالكين).

ومن وسائل إصلاح النفس- الورع- والورع يعني فيما يعنيه "ترك الشبهات"، وهو ترك كل شبهه وترك مالايعنيك وقال أبو بكر الصديق ﷺ كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة الوقوع في الحرام وقال النبي ﷺ لأبي هريرة كن

ورعاً تكن اعبد الناس.. وكان يقال الورع أول الزهد كما ان القناعة طرف من الرضا.

ومن ذلك خوف الله تعالى ﴿**يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً**﴾ ومما ورد في ذلك لايدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يلج اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم)[32].

ومن إصلاح النفس ان يكون في نفس المسلم سمة الرجاء لأن اليأس والقنوط ليسا من صفات المؤمن وعلى المؤمن ان يكون للرجاء في قلبه مكان ولابد ان يملأ سمعه حديث رسول الله ﷺ **عن رسول الله** ﷺ **''عن جبريل** عليه السلام **قال: قال ربكم** عز وجل **عبدي ما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئاً غفرت لك ما كان منك ولو استقبلتني بملء الأرض خطايا وذنوباً استقبلتك بمثلها مغفرة فأغفر لك ولا أبالي''**[33].

ومن اشراط إصلاح النفس الخشوع والتواضع إذ الخشوع من علامات فلاح المؤمن ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾ ومثله التواضع فالكبرياء ليس من صفات العبد ولا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولعل من وسائل إصلاح النفس مخالفتها حين تقوده إلى ما يخالف منهج الحق وطريق الهدى ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾ والنبي عليه الصلاة والسلام ذكر ضرر متابعة النفس أخوف ما أخاف على أمتي أتباع الهوى وطول الأمل (فأما أتباع الهوى فيصدّ عن الحق وأما طول الأمل فينسي صاحبه الآخرة ثم ان مخالفة النفس رأس العبادة..)[34].

الفصل الثاني
سمات الصالحين

ونقف هنا عند طائفة من سمات هؤلاء القوم.. ومنها:

1. محاسبة النفس:

ويعني ذلك ان الصالح من الناس يحاسب نفسه على كل مايقوم به أو على أغلبه وكثيراً ما كان أسلافنا ينصحون الناس بمحاسبة النفس فهذا عمر بن الخطاب ﷺ ينصح الناس قائلاً **(حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسَبوا وزنوا أنفسكم قبل ان توزنوا فإنه أهون عليكم في الحساب غدا..)**[35].

فالخليفة ينصح الناس هنا ان ينظروا في مصيرهم غدا، ويتمثل الاهتمام بالمصير بوسائل لعلّ أهمها هو هذا الذي ذكره الفاروق ﷺ، اعني محاسبة النفس والاهتمام بالأعمال الصالحة وهذا المنهج هو الذي انتهجه السلف الصالح.. ومما يروى في ذلك عن الحسن البصري ﷺ قوله: لا تلقى المؤمن الا يحاسب نفسه ماذا اردتِ تملكين وماذا أردت تأكلين وماذا أردت تشربين والفاجر يمضي قدماً لايحاسب نفسه وكان الأحنف بن قيس يأتي إلى المصباح فيضع أصبعه فيه ويقول حِسّ ياحنيف ماحملَك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملكَ على ماصنعت يوم كذا[36].

ويتردد المعنى نفسه عند مالك بن دينار فهو يقول في ذلك (رحم الله عبداً قال لنفسه الستِ صاحية كذا؟ الستِ صاحبة كذا ثمَّ زمَّها ثم خطمها ثم الزمها كتاب الله ﷻ فكان لها قائداً..)[37].

وإيراد ما جاء حاملاً نفس المعنى وهو محاسبة النفس، كثير امتلأت به كتب الرقائق والمواعظ والزهد. وهو في مضمونه يمنع المسلم من ان يغفل عن النفس ويبقى سادراً في غيِّه لأن هذه السبيل توصله إلى البعد عن الله تعالى والنأيُ عن منهجه وبذلك تكون الفجوة عميقة بينه وبين أهل الإيمان وحَمَلةُ دين الله، وفي ذلك خطورة كبيرة على مستقبل الإنسان المسلم.

2.الزهد في الدنيا:

وهذا الأمر يحتاج إلى بعض الإيضاح، وذلك لأن الزهد في الدنيا يجب ان يفهم كما جاء في منهج النبي عليه الصلاة والسلام فمنهج الإسلام يتمثل في التزود من الدنيا ومتاعه بما يقيم أوده ويحفظ حياته ويشبع غرائزه التي أوجدها الله تعالى في الإنسان (فليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا من ترك الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه، وهذا هو المنهج الذي انتهجه النبي عليه الصلاة والسلام وتمثله الآية الكريمة ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾ هذا هو منهج الإسلام، الوسطية، الأخذ من الدنيا والآخرة وحين كان يرى شخصاً منقطعاً عن الدنيا ينهاه عن ذلك ''**لا رهبانية في الإسلام**'' وحين يراه منغمساً في الدنيا تاركاً آخرته يسمع صوت الإسلام يقول له ''**تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة..**'' ولذلك نجد ان السلف الصالح -في الأعم الأغلب- حرصوا على التخفف من الدنيا وعدم الانغماس فيها لأنها تنسى المسلم آخرته ومما يروي في الزهد في الدنيا أنهم حينما قالوا لأحد الصالحين (انّا نرى بيتك بيت رجل مرتحل فقال: لا ارتحل، إنما أُطرد منها طرداً..)[38].

وأنهم كانوا يشبهون الدنيا بالقنطرة الموجودة على النهر وان المطلوب من الإنسان ان يعبر القنطرة فحسب وفي ذلك يتناقلون بينهم العبارة التي تقول (الدنيا قنطرة أعبروها ولا تعمروها..) فتعمير الدنيا لا مسوّغ له ولا جدوى منه، وهم إنما يعنون بهذا ضرورة عدم الانغماس فيها وإعطائها أكثر مما أعطاها الشرع الإسلامي، لأن ذلك من شأنه انْ ينأى بالإنسان عن آخرته وحين ذلك تأسره الدنيا بملذاتها فيضيع وياله من ضياع لأنّ (من كانت نيته الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته الدنيا فرّق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب الله له..)[39].

3. الغربة:

وهي تعني هنا المصلحين، فالغريب معناه المصلح فمما ورد في ذلك (بُدئ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بُدئ فطوبى للغرباء قيل ومن الغرباء يارسول الله؟ قال: الذين يصلحون عند فساد الناس)[40].

كما ورد الحديث الشريف بصيغة المبني للمعلوم (بدأ) وفي ذلك يروى: (ان الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء قيل ومن الغرباء قال: النزّاع من القبائل طوبى للغرباء أراد المهاجرين الذين هجروا أوطانهم في الله ﷻ، النزّاع من القبائل النزّاع: جمع نزيع وهو الغريب الذي نزَع من أهله وعشيرته)[41].

ولابد أن يكون لهؤلاء الغرباء سمات تميّزهم من غيرهم وهذه الميزة هي الإصلاح، الإصلاح حين تتقاذف الناسَ أمواجُ البغي والفساد والبعد عن شرع الله وفضائل الأعمال. وفي غربة هؤلاء الصالحين (العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور..)[42] ولاشك في أن هذه السمات تصنع الإنسان المسلم المستقيم (فالتفقه في الدين يصرف إليه قلوب المتعلمين والزهد في الدنيا يقرّب إلى الله والمعرفة بما لله عليك يحويها كمال الإيمان)[43].

على ان الغربة تقتضي الصبر على متاعب الدنيا (فالمؤمن في الدنيا كالغريب، لايجزع من ذلها ولا ينافس في عزّها، له شأن، وللناس شأن)[44].

4. الولاء والبراء:

ويعني ذلك ان يعمل بما يوافق الشرع فيرضي الله تعالى وان يمتنع عما يسخط الله تعالى وهذا هو الذي قُصد بالولاء والبراء انه (موافقة العبد ربه فيما يحبّه ويرضاه وفيما يسخطه ويكرهه ويبغضه ولا يرضاه من الأقوال والأفعال والاعتقادات..)[45].

5. حسن الخلق

ويشتمل على جملة من الصفات التي ترتفع بالفرد المسلم إلى مصاف الصالحين، وتتمثل سمة حسن الخلق بالالتزام بجملة أمور تحدّث عنها أرباب الزهد والمواعظ، فحفظ اللسان يشير إلى أن (على كل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاماً تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه لأن قد ينجرّ الكلام المباح إلى حرام..)[46].

كما تتمثل سمة حسن الخلق بالصبر على البلاء وشكر النعمة (فإن لأهل اليقين علامات يعرفون بها من أنفسهم: من صبر على البلاء ورضى بالقضاء وشكر للنعمة وذلّ لحكم القرآن)[47] والبعد عن الغيبة والنميمة والغلّ والحقد والحسد ومساوئ الأخلاق يكوّن ركناً من أركان الأخلاق، وينبغي عدّ حسن الخلق من سمات الصالحين لقوله عليه الصلاة والسلام ''**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**'' فقد قصر الحديث الشريف سبب البعثة النبوية على إتمام مكارم الأخلاق.

6. دوام ذكر الله تعالى:

مهما اختلف الباحثون في عدد منافع ذكر الله تعالى فإنهم متفقون على وجوبه وأهميته لما له من أثر كبير في طرد الشيطان وقمعه وكسره وإزالة الهم والغمّ عن القلب، كما يكسب الذاكر المهابة والحلاوة وانه (يورث الإنابة وهي الرجوع إلى الله ﷻ كما يورث الحياة فالذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء)[48].

هذه جملة من صفات الصالحين ونحن هنا ذكرنا أهمها وأشهرها ويمكن أن تزيد عليها غير ماذكرنا.. ونحن نختم حديثنا هنا بتذكير القارئ بأن هناك صفات أخر ولكن طبيعة البحث لا تقتضي تسطير كل مايمت إلى تلك السمات كما قلنا. وهانحن أولاء ننتقل إلى فصل آخر.

الفصل الثالث
من مواقف الصالحين

أثرتْ عن الصالحين مواقف خلّدت ذكراهم وجعلت الناس يلهجون بسيرتهم ويتخذونها مثلاً في الاقتداء بها.

ونحن هنا لم نقف عند جيل معين لأننا لا ندرس زمناً معيناً، ولسنا معنيين بعصر دون عصر، إنما الذي يهمنا هنا جملة مواقف وقفها الصالحون، فهناك مواقف من أمراء العصور وهناك مواقف من مغريات الدنيا من مال ومنصب وجاه وما إلى ذلك كما انّ هناك طائفة من الأقوال التي جاءت عن هذه الفئة، هذه الأقوال التي تعدّ منهجاً تربويّاً يمكن أن يسير عليه المعنيون بهذا الجانب من جوانب الحياة.

وها نحن أولاء نقف عند طائفة من مواقفهم.

مواقفهم من الإمارة والقضاء:

حين نتصفح حياة أغلب الصالحين نجد أن من ميزاتهم بُعْدهم عن مجالس الأمراء وأهل الشأن، وإذا جمعهم لقاء مع هؤلاء القوم توجهوا إليهم بالتذكير في هذه الدنيا الفانية التي لا يجوز للعبد أن يغتر بها ويفتتن بما يلهي فيها ويكثرون من الترهيب من مغرياتها أو التقصير في أداء حقوق الناس ووضع الحجب بين الأمراء وعامة خلق الله. وكل ذلك ناشئ من وقوفهم عند كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فالقرآن يحذر أحد الأنبياء من أن يشتط في الحكم ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾ ص 26، وهم يقفون عند أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام التي تحذّر من الحرص على الإمارة والتقصير في حق الناس فيها إذ الأحاديث تشير إلى أن التقصير مصيره الندامة "*أنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة*" (49).

ومن ذلك ''.. **لا تسأل الإمارة فإنك أن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وان أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها**''[50] ولهذا كثر اهتمام الصالحين بروايات أخبار الناس الذين ينأون عن الإمارة أو يزهدون فيها حين يبتلون بحملها، فمن ذلك ماقيل عن يوسف عليه السلام حين قال له أحدهم (مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض فقال أخاف أن أشبع وأنسى الجائع)[51].

وقال عمر بن أبي عقرب: سمعت عتاب بن أسيد يقول والله ما أصبت في عملي الذي ولاني رسول الله ﷺ ألا ثوبين معقَّدين كسوتهما مولاي كيسان[52] ومن ذلك ما كان من عمير بن سعد عامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين استدعاه عمر يسأله عما معه فقال عمير جئتك بالدنيا اجرّها بقرابها قال مامعك من الدنيا: قال عكّازه اتوكأ عليها.. ومزودي أحمل فيه طعامي وأداوتي هذه.. فقام عمر إلى قبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قال اللهم الحقني بصاحبيّ.

ويطول بنا المقام لو أردنا أن نقف عند الكثير من مواقف الصالحين الحاكمين من الدنيا..

وكتب أحد الأمراء في قصة متظلم من عمرو بن مسعدة: ياعمرو أعمر نعمتك بالعدل فإن الجور يهدمها.

وقال آخر: اذاهم الوالي بالجوَر أو عمل به أدخل الله النقص في أهل مملكته حتى في الأسواق والضرع والزرع وإذا همّ بالخير وعمل به أدخل الله البركة في مملكته.

ودخل طاووس على سليمان يوماً وهو إذ ذاك خليفة فقال هل تدري يا يأمير المؤمنين من أشد الناس عذاباً يوم القيامة فقال له سليمان قل فقال: اشد الناس عذاباً يوم القيامة من أشركه الله في ملكه فجار في حكمه فاستلقى سليمان وهو يبكي فما زال حتى قام عنه جلساؤه[53] وخلاصة ما يقال هنا أن الصالحين كانوا ينصحون بلزوم الحق والعدل..

موقفهم من الدنيا

وقد رُويت عنهم أخبار تصور موقفهم منها وان مايظهر عندهم من ابتعاد عنها وعدم الرغبة فيها هو خوفهم من الانغماس في ملذاتها وإضاعتهم الغرض الذي من اجله خلقت وهي أن تكون مزرعة للآخرة يعمل فيها الفرد المسلم من الصالحات والأعمال الطيبة مايؤهله لأن يدخل جنة الخلد التي وُعد المتقون، ولذلك كثيراً مايرد في أقوالهم التخويف منها وعدم الاغترار بها ومن هذا كانوا يعنون بالأقوال التي تحث على التخفف منها ومن ذلك (.. يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمئة عام..) و(أن المسكين ليس بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قال فقيل من المسكين يارسول الله قال الذي لايجد مايغنيه ويستحي أن يسأل الناس ولا يُفطن له فيتصدق عليه..).

ومن ذلك أيضاً (لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم.. جلساء الله تعالى يوم القيامة، ومما ورد عن إبراهيم بن ادهم أن رجلاً أتاه بعشرة آلاف درهم فأبى أن يأخذها وقال له تريد أن تمحوا اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم، ومنهم من لا يجيز للمسلم الزاهد أن يخاف الفقر وقد قيل في ذلك إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة أشياء رجل مؤمن قتل مؤمناً ورجل يموت على الكفر وقلب فيه خوف الفقر..)[54].

وليس من الأيمان العميق أن ينشغل الفرد الصالح بالدنيا شغلاً ينسيه الآخرة فمن تهمّه الدنيا على حساب الآخرة رجل خاسر وتاجر لا يحسن فن التجارة وفي ذلك كان الصالحون يقولون (ما كانت الدنيا همّ رجل قط الا لزم قلبه أربع خصال: فقر لا يدرك غناه وهم لا ينقضي مداه وشغل لا ينفذ أولاه، وأمل لا ينقضي منتهاه)[55].

وهذا لا يعني–كما ذكرنا– أن على الصالح المصلح أن يهمل الدنيا ويعيش عالة على غيره، فالمسلم مأمور بالعمل من أجل أن يقوت نفسه ومن يقول (أعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) والصالحون يعرفون كذلك قصة الرجل الذي جيء به للرسول عليه الصلاة والسلام وقالوا هذا سيدنا وابن سيدنا فقال لهم: **من يصله؟** قالوا: كلنا يا رسول الله قال: **كلكم خير منه**، والصالحون

يعرفون **(اني لأرى الرجل فيعجبني فأقول الهُ حرفة فإنْ قالوا لا سقط من عيني..)** أنهم يعرفون كل ذلك ولكن نظرتهم إلى الدنيا تلك النظرة الزاهدة مبنية على إشغال النفس بالآخرة وعدم ترك الدنيا تغرّ العبد الصالح يادنيا غُرّي غيري وكانوا يرون أن الانغماس في الدنيا يفسد دين الرجل الصالح ومن ذلك ماورد عن ابن السماك حين قال له رجل من الناس عظني قال: بمَ اعظك أصلحك الله؟ إنما الناس زاهد وصابر وراغب فأما الزاهد فقد خرجت الدنيا عن قلبه لا ييأس على ما فاته ولا يفرح بما يؤتاه، الناس منه في راحة وهو من نفسه في عناء.

وأما الصابر فإنه يشتهيها بقلبه، فلما ذكر ما فيها من عارها وشنارها امتنع منها. وأما الراغب فإنه لا يبالي من أين أتته الدنيا، فسد دينه أو دُنّس عرضه..)[56].

من ذلك يتبين أن الزاهد خرج من الدنيا وإذا لم يخرج منها فليس بزاهد فالفرح لا معنى له مادامت الدنيا سترحل عنه يوماً مّا وان شئت فقل سيرحل هو عنها يوماً ما، ويترتب على ذلك عدم جواز الحزن عليها ولمَ ياترى يحزن الإنسان على شيء زائل.

وكذلك الصابر فإن ابتعاده عن الدنيا وصبره على مفاتنها ولذائذها صيرّه صابراً والاّ لما وصل إلى ذلك.

وبعد: فالكلام عن نبذ الدنيا عند الصالحين كثير وما ذكرنا غيض من فيض وخلاصة الأمر عدم الاغترار بها فإنها تغدر وتخدع.. ولذلك فالصواب في لزوم الآخرة.. (من كانت نيته الدنيا فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه)[57].

تمسّكهم بمكارم الأخلاق:

يتمسك الصالحون بمكارم الأخلاق وهي من سمات الصالحين ويدخل في الصالحين عِلْية القوم وهم الأنبياء فهذا اللفظ (يُذكر مفرداً فيتناول النبيين، قال تعالى في حق الخليل) ﴿**وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ**﴾ النحل

122، وقال ﴿**وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ**﴾ العنكبوت 27، وقال الخليل ﴿**رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ الشعراء 83. وقال سليمان ﴿**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾ النمل 19، والصالح هنا (الذي صلح جميع أمره فلم يكن فيه شيء من الفساد فاستوت سريرته وعلانيته وأقواله وأعماله على ما يرضي ربه..)[58].

ويبدو تمسكهم بمكارم الأخلاق من خلال ما تناقل الناس عنهم ففي الرزق الحلال، كانوا يرونه من الأمور التي ينبغي للرجل ان يحرص عليها والاخلال بهذه الصفة يحبط عمل الرجل ووقوفه في الصف الأول في الصلاة، وهو على هذه الحال، عدم جِلّ كسبه– لا ينفعه كثيراً ولذلك كانوا يقولون (أنظر من أين درهمك وصلِّ في الصف الأخير..)[59].

وهذا يتفق مع قوله ﷺ نعم المال الصالح للمرء الصالح[60].

ومن معالم التمسك بمكارم الأخلاق وبعدهم عما يشينها نأيُهم عن الغيبة والنميمة وإذكاء الفتن بين الناس وما يقرب من ذلك فقد رأوا ان على كل مكلف (ان يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاماً تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه فالسنة الإمساك عنه لأنه قد ينجرّ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه..)[61].

وقد استعظم الصالحون اغتياب الناس لأنها أكل لحوم البشر ﴿**وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ..**﴾ وكانوا يتناقلون الأقوال في ذلك، ومما ذكروه **انْ** (أوحي الله تعالى إلى موسى عليه السلام من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنّة ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار) وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين (أن الله حكم عدل فكما يأخذ من الحجاج يأخذ للحجاج وانك إذا لقيت الله ﷻ غداً كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج..).

وقيل دُعي أحد الصالحين إلى دعوة فحضر فذكروا رجلاً لم يأتهم فقالوا انه ثقيل فقال الرجل الصالح إنما فعل بي هذا نفسي حيث حضرت موضعاً يُغتاب فيه الناس فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام[62].

وذكرتْ الغيبة عند عبدالله بن المبارك فقال: لو كنت مغتاباً أحداً لاغتبت والديّ لأنهما أحق الناس بحسناتي. وبعد فما نقلناه هنا يمثل جانباً مما رُوي من مواقفهم من الغيبة ولا يتسع المجال لذكر أكثر مما ذكرنا.

خاتمة البحث

وبعد..

فإذا كان من المهم أن نلخص أهم ماورد في البحث فيمكننا أن نشير إلى ما يأتي:

- وقف البحث عند معنى الصلاح من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية من اجل أن يتبيّن القارئ الكريم دلالتها.
- "سمات الصالحين" واحد من فصول البحث إذ لابد أن يتبيّن القارئ الكريم العلامات التي تميّز هؤلاء من غيرهم.
- تناول البحث آيات الصلاح وصنفها إلى محاور ووقف عند كل محور بما تقتضيه طبيعة البحث.
- كان للبحث محطات عند مواقف الصالحين فذكر من مواقفهم عند الأمراء والولاة كما بين شيئاً من هذه المواقف مع الدنيا وإغراءاتها والخلق ومحاسنه ومساوئه.

وأخيراً أرجو أن يكون في هذا البحث ماينفع قارئه والله وليّ التوفيق.

هوامش البحث

(1) الصحاح، مادة (صلح): 1/ 383-384.

(2) العين، مادة (صلح): 3/ 117.

(3) المحكم والمحيط الأعظم، مادة (صلح): 1/ 109-110.

(4) المحيط في اللغة، مادة (صلح): 3/ 181.

(5) تهذيب اللغة: مج2، 4/ 243.

[6] تاج العروس، مادة (صلح): 6/ 117.
[7] روح المعاني: 1/ 582.
[8] تفسير الفخر الرازي: 4/ 142.
[9] تفسير ابن كثير: 1/ 359.
[10] المصدر نفسه: 1/ 540.
[11] تفسير ابن كثير: 540/1.
[12] المصدر نفسه: 2/ 54.
[13] روح المعاني: 6/ 415.
[14] تفسير ابن كثير: 2/ 126.
[15] روح المعاني: 7/ 20.
[16] روح المعاني: 7/ 214.
[17] ابن كثير: 2/ 202.
[18] روح المعاني: 8/ 494.
[19] روح المعاني: 370/22.
[20] المصدر نفسه: 420/26.
[21] ابن كثير: 1/ 491.
[22] روح المعاني: 5/ 86.
[23] فتح القدير: 1/ 224.
[24] سنن ابن ماجه، حديث برقم (2695)، ابن كثير: 1/ 202.
[25] الرازي: مج3/ 54.
[26] المصدر نفسه: 3/ 72.
[27] ينظر ابن كثير: 1/ 243.
[28] فتح القدير: 1/ 278.
[29] ابن كثير: 1/ 532.
[30] فتح القدير: 1/ 658.
[31] سنن ابن ماجه، حديث برقم (4240).
[32] الرسالة القشيرية: 100.
[33] المصدر نفسه: 115.
[34] المصدر نفسه: 120.

[35] إغاثة اللهفان: 97.
[36] المصدر نفسه: 97.
[37] المصدر نفسه: 97.
[38] جامع العلوم والحكم: 397.
[39] مسند أحمد، حديث برقم (20608)، تنبيه الغافلين: 19.
[40] صحيح مسلم: 232/1ا، لاعتصام: الشاطبي: 11.
[41] سنن ابن ماجه حديث برقم (3978)، الإيمان، الإمام البغوي: 12.
[42] مقدمة ابن خلدون: 577.
[43] اللمع: 194.
[44] جامع العلوم: 398.
[45] المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية: 192.
[46] الأذكار: 240.
[47] سنن الصالحين 4: 296.
[48] الوابل الصيب: 63.
[49] صحيح البخاري: 7148.
[50] نفسه 6622.
[51] سنن الصالحين: 1/ 328.
[52] المصدر نفسه: 1/ 329.
[53] سنن الصالحين: 329/1.
[54] ينظر الرسالة القشيرية: 219، 220.
[55] سنن الصالحين: مج2: 715.
[56] سنن الصالحين: مج1/ 323.
[57] تنبيه الغافلين: 159.
[58] الأيمان ابن تيمية: 41.
[59] زاد المؤمنين: 11.
[60] الأدب المفرد: 87.
[61] الأذكار، النووي: 24.
[62] الرسالة القشيرية: 125.

مصادر البحث ومراجعه

1. **الأدب المفرد**، البخاري، تحقيق أحمد عبد الرزاق البكري، دار السلام، ط1، 2004م.
2. **الأذكار**، النووي، دار الإسراء، ط2، 2005م.
3. **الاعتصام:** الشاطبي، تحقيق: سيد إبراهيم دار الحديث، القاهرة.
4. **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، عبد الرحمن المصطاوي، مكتبة الصفا، ط1، 2003.
5. **الإيمان**، الإمام البغوي، ط1، 2003.
6. **تاج العروس:** الزبيدي، تحقيق الطناحي وآخرين الكويت.
7. **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، بيروت– لبنان.
8. **تفسير الفخر الرازي**، الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
9. **تنبيه الغافلين**، السمرقندي، دار الفجر للتراث، القاهرة 2004.
10. **تهذيب اللغة**، لأبي منصور أحمد الأزهري، تحقيق عبد السلام محمد هارون وعلي النجار.
11. **جامع العلوم والحكم**، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: وليد بن محمد بن سلامة، مكتبة الصفا ط1، 2002.
12. **الرسالة القشيرية**، دار التربية، مطبعة المثنى.
13. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث، ط1، 2000.
14. **زاد المؤمنين من حكم الصالحين**، عبد الحافظ عبد الرحمن، مجهول الطبعة.
15. **سنن الصالحين وسنن العابدين**، الباجي، تحقيق إبراهيم بأحسن ، دار ابن حزم، ط1، 2003.
16. **الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، القاهرة، ط1.

17. **صحيح البخاري:** البخاري، بغداد 1986.
18. **صحيح مسلم،** للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت261هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى 1415هـ/ 1994م.
19. **العين،** لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، طبع في مطابع الرسالة- الكويت.
20. **فتح القدير،** الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1994.
21. **مقدمة ابن خلدون،** عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، ط1، 2004.
22. **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة،** علي ابن إسماعيل ابن سيده، تحقيق: د.حسين نصار، مصطفى السقا، ط1، 1958.
23. **المحيط، كافي الكفاة،** الصاحب، إسماعيل بن عبّاد ت 326-385هـ ، تحقيق الشيخ محمد حسن أل ياسين، الطبعة الأولى 1401هـ/1981م.
24. **المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية،** إبراهيم محمد البريكان، دار السنة للنشر.
25. **اللمع،** لأبي نصر السراج الطوسي، تحقيق: محمد عبد الحليم محمود، مكتبة الثقافة، ط1، 2004.
26. **الوابل الصيب من الكلم الطيب،** ابن قيم الجوزية، دراسة وتحقيق محمد عبد الرحمن عوض، دار الريان للتراث، ط1، 1987م.